

التمهيد

أولاً : المسعودى : حياته ومؤلفاته

١ - لقبه :

قال ابن شاکر عنه : هو على بن الحسين بن على ، أبو الحسن المسعودى ، المؤرخ ، من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كان أخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر ، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة من الهجرة^(١) . وقال عنه شمس الدين الذهبي : «لقد كان أخبارياً صاحب ملح ونوادر وعجائب وفنون ، وكان معتزلياً ، عداه في البغداد ، ونزل بمصر مدة»^(٢) . وذكره ابن حجر العسقلاني بقوله : والمسعودى صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ ، وقد ذكر فيه لنفسه عدة تصانيف ومشايخ ورحلة واسعة ، ومن تصانيفه : أخبار الزمان والأوسط والمروج والتنبه ، وتصانيفه عزيزة إلا المروج فقد اشتهر^(٣) .

وقال عنه السبكي : «من ذرية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أصله من بغداد ، وأقام بها زماناً ، ويمصر أكثر ، وكان أخبارياً مفتياً . علامة ، صاحب ملح ونوادر ، وقيل إنه كان معتزلي العقيدة ، مات سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين وثلاثمائة للهجرة»^(٤) .

وقد نفى ياقوت الحموي في معجمه ما ذكره ابن النديم من أن المسعودى نسبة إلى مسعودة ، وهي محلة ببغداد وراء المأمونية ، كما نفى أيضاً أنه من أهل المغرب ، وقال ياقوت : إن المسعودى ذكر مكان مولده في كتابه المروج ، فكيف يكون من أهل المغرب؟^(٥) .

(١) فوات الوفيات والذيل عليها، ابن شاکر الکتبی، تحقیق د. إحسان عباس، دار صادر، بیروت، ١٩٧٤م، ١٢/٣ - ١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقیق إبراهيم الزبيق ، مؤسسة الرسالة ، بیروت ط الأولى ، ١٩٨٣م ، ج ١٥ / ٥٦٩ .

(٣) لسان الميزان ، العسقلاني ، ط حيدر آباد الدکن ، ط الأولى ، ١٣٣٠ هـ ، ٢٢٤/٤ ، ٢٢٥ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقیق محمود الطناحي ، عبد الفتاح الحلو ، ط الحلبي ، ٤٥٦٦/٣ .

(٥) معجم الأدباء للحموي ، ط دار المأمون ، ١٩٣٦م ، ج ١٣ / ٩٠ .

وقد ذكره ابن العماد الخنلي في «شذرات الذهب» بقوله «في عام ٣٤٥ هـ تُوفّي المسعودي المؤرخ صاحب مروج الذهب . وهو أبو الحسن علي بن أبي الحسن . رحل وطوّف في البلاد ، وحقّق في التاريخ ما لم يحقّفه غيره ، وصنّف في أصول الدين وعبرها من الصور . قد صدرها في صدر مروج الذهب»^(١).

٢ - نشأته

وُلد المسعودي في سنة ٢٨٧ هـ ، ونشأ في بغداد ، في العصر العباسي الثاني في أواخر عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله . في رحاب أسرة عربية وقد اهتمت أسرته بتعليمه وتنقيمه ، وقد كانت بغداد في ذلك الحين تعد مركزاً من أعظم المراكز العلمية في العالم ، واشتهرت كذلك بمكتباتها وما حوته من تراث ، ولذا أتاحت للمسعودي الفرصة ليتلقى قسطاً وافراً من العلم والثقافة

أخذ المسعودي علمه عن أبي خليفة الجمحي ونفطويه وابن زبير القاضي ، وكاد من أشهر العلماء والشعراء الذين عاصروهم المسعودي : ابن أبي الدنيا والبحتري والمبرد وابن قتيبة ، والبلاذري وأبو حنيفة الدينوري واليعقوبي وثابت بن قرة الحرّاني وابن المعتز وأحمد بن حنبل وثلعب والبزّار ومحمد بن نصر المروزي والترمذي وابن شريح والجنيد والنسائي والجبائي والطبري والزجاج والأخفش الصغير وأبي عوانة وقدامة بن جعفر وابن زكريا الطيب^(٢) .

٣ - رحلاته :

الم المسعودي بالواد مختلفة من العلوم والثقافات فقد درس العلوم اللغوية والأدبية والفقهية ، كما ألمّ بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة ، وتعلّم كثيراً من اللغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسرانية ، وأراد المسعودي أن يلتقي بالثقافات المختلفة وجهاً لوجه بعد أن التقى بها في متون الكتب ويلمس بنفسه صوراً من حياة الشعوب ويرى الواناً من الحضارات ، وكانت بغداد - عند رحيل المسعودي - تمر بفترة سياسية قلقة ، فقد اتسمت فترة العصر العباسي الثاني بسيطرة عناصر أجنبية على الخلفاء العباسيين ، واستئثارهم بالسلطة دون هؤلاء الخلفاء كما اتسمت بصراع الخلفاء أنفسهم بعضهم مع بعض ، فرأى المسعودي أن يرحل بعيداً عن هذه الاضطرابات السياسية حتى يكون أكثر حرية في تدوين تاريخ هؤلاء الخلفاء العباسيين ، وقد قام قبل رحيل المسعودي عن بغداد صراع حول الخلافة بين الخليفة المقتدر والخليفة المرتضى بالله^(٣)

(١) شذرات الذهب . لابن العماد . مكتبة القدس ، القاهرة . ١٣٥ هـ ، ٢ / ٣٧١ .

(٢) المسعودي ، على الخربوطلي . دار المعارف ، ١٩٨٠ م . ص ٢١

(٣) المسعودي ، الخربوطلي ٢٤ .

وقد استفاد المسعودى من هذه الرحلات وجمع كثيرا من الحقائق التاريخية والجغرافية مما لم يسبق إليه ، الأمر الذى جعل كثيرا من الناس يعدونه مؤرخاً وجغرافياً ورحالة^(١) .

وقد بدأ المسعودى رحلاته فى سنة ٣٠٩ هـ ، فصادر بغداد متوجهاً إلى الأطراف الشرقية من الدولة العباسية ، فطاف ببلاد فارس وكرمان ، واستقرَّ فترةً فى اصطخر ، وفى السنة التالية ٣١٠ هـ ، رحل إلى الهند وملتان والمنصورة ، ثم عطف على كنباية فصيمور ، واستقرَّ فترةً فى بومباى ، ثم عاش فترةً أخرى فى سرنديب (سريلانكا حالياً) ، ومن هناك ركب البحر مصاحباً بعض التجار إلى بلاد الصين ، وجاب المحيط الهندى وزار جزائره وموانيه وخاصة مداغسكار وزنجبار ، ثم عاد فى نهاية رحلته إلى عمان^(٢) .

أما الرحلة الثانية للمسعودى فكانت فى سنة ٣١٤ هـ إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ، ثم رحل بعدها إلى بلاد الشام وفلسطين ، وفى سنة ٣٣٢ هـ رحل المسعودى إلى أنطاكية وزار ثغور الشام ، ثم عاد إلى البصرة ، ولكنه عاود الرحيل إلى بلاد الشام ، واستقرَّ فترةً فى دمشق ، وأخذ المسعودى فى التنقل بين العراق والشام ومصر ، وشعر بحاجته إلى الاستقرار مرة ثانية فكانت نهاية المطاف فى مصر حيث استقر فى مدينة الفسطاط ، وكان قد أتم تأليف كتابه «مزوج الذهب» فى الفسطاط سنة ٣٣٦ هـ ، بعد أن بدأ فى تأليفه سنة ٣٣٢ هـ .

وكانت مصر تمرُّ فى ذلك الوقت بفترة هدوء واستقرار ونهضة علمية وثقافية وذلك فى عصر قافور الإخشيدى ، وظل المسعودى بمدينة الفسطاط حتى مات بها سنة ٣٤٦ هـ .

٤ - صفاته الشخصية :

يستطيع الباحث فى كتب المسعودى أن يستنتج من بين سطور هذه الكتب صوراً لبعض جوانبه النفسية والعقلية ، فالمسعودى صورة صادقة للوطنى المخلص ، الوفى لوطنه ، فبالرغم من أنه قضى أكثر من خمس وعشرين سنة فى تجوال دائم فإنه لم ينس موطنه الأسمى العراق ، ويؤكد ذلك قوله :

«ومن علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه ، وإن من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها تواقاً»^(٣) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، مراجعة د. شوقى ضيف ، دار الهلال ، ١٩٥٧ م ، ج ٢/٣٦٣

(٣) المسعودى ، للخربوطلى ، ص ٢٤ ، ٢٥

(٤) المروج : ٦٦/٢ .

ومن صفاته النفسية التي تتضح من خلال كتابه «المروج» ثقته بنفسه واعتزازه بما وصل إليه من علم ودراية عن طريق الرحلة والمغامرة وملاقاه من أهوال ومصاعب ، ويؤكد ذلك بقوله : «وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نُمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ، وورع أيامه بين تقاذف الأسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكمته»^(١) .

وبالرغم من اعتزازه بعلمه ودرايته فإنه يبدو في كثير من صفحات كتبه متواضعاً مثل قوله : «على أنا نعتذر من تقصير إن كان ، وتنصل من إغفال إن عرض»^(٢) .

وكان المسعودي بعيدا عن التيارات السياسية والمذهبية التي دفعت بعض المؤرخين إلى العصبية والشعوبية ، كما أمضى معظم حياته في رحلات مستمرة فلم يقع تحت سيطرة حاكم أو أمير ، الأمر الذي قد يجعله يتملقه أو يتحامل عليه ، ويبدو أن حريته في التنقل انعكست على كتاباته ، فقد أصبح حرا في نقده التاريخي حتى أنه لم يجد حرجا في انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له ووصفهم بالضعف وسيطرة الأتراك عليهم .

٥- طريقته في التأليف من خلال كتابه المروج :

لم يتبع المسعودي سنة من سبقه من المؤرخين ، ولكنه وضع منهجا جديدا ، تأثر به كثير ممن جاء بعده ، وفي مقدمتهم ابن خلدون ، فقد حاد المسعودي عن طريقة الطبري في التأريخ بالسنين ، وقد أبرز ابن الأثير المؤرخ عيوب هذه الطريقة بقوله : «تأني الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ، ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر»^(٣) .

أما اليعقوبي المؤرخ فقد قسّم تاريخه تقسيما موضوعيا ، وجعل الشخصيات التاريخية أحيانا محورا لدراسته ، وحذا أبو حنيفة الدينوري حذو اليعقوبي في كتابه «الأخبار الطوال» ، وقد اتبع المسعودي طريقة اليعقوبي ولكنه طورها وأضاف إليها من تجاربه وخبراته الكثير ، ومزج الدراسات التاريخية بالجغرافيا وفتح آفاقا جديدة في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، واهتم بمعالم الحضارات المختلفة ، ولزم الطريقة الموضوعية وأصبحت الشعوب والملوك والأسرات والخلفاء محاور دراسته .

لم يتبع المسعودي طريقة السرد التاريخي بل اهتم بالتحليل التاريخي والبحث عن المسببات والدوافع ونقد الأحداث^(٤) ، ووصل بذلك إلى نتائج هامة وحذا ابن خلدون حذو المسعودي في منهجه وزاد عليه ، مما جعل ابن خلدون يبرز على كثير من المؤرخين والمفكرين .

(٢) المروج : ٣٨٧/٤ .

(١) المروج : ١٢/١ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ط المنيرة ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٣٤٨ ، ج١/٥ ، ٦٦ .

(٤) المسعودي : ص ٣١ .

ولم تكن رحلات المسعودى للزهوة أو التكسب ، بل كانت رحلته لمشاهدة معالم البلاد ومعرفة أخبارها ، وتدل كتبه على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والأدب والأخلاق والسياسة لهذه البلاد ، وعلى الرغم من أن المؤرخين يرجحون اعتناق المسعودى لمذهب المعتزلة^(١) . فإننا لا نجد في كتبه إشارة إلى هذا المذهب وربما يرجع ذلك إلى ميل المسعودى للحياد التام ، كما أن مذهب المعتزلة كان قد بدأ في التلاشي والاندثار مع بداية العصر العباسى الثانى^(٢) .

لقد اعتمد المؤرخون ممن سبقوا المسعودى على الروايات عن السند ، وقد حاد المسعودى عن هذه الطريقة ، فكان يذكر الأخبار والأحداث من غير سند ، واكتفى بأن يذكر فى مقدمة كتابه من اعتمد عليهم من الرواة أو المصادر التاريخية لكتبه ، ولهذا نرى أنه جمع فى كتبه كثيرا من الأخبار التاريخية التى لم ترد فى الكتب التاريخية السابقة ، مما دعا بعض المؤرخين الذى جاءوا بعده إلى استبعادها وعدم التسليم بقبولها كقصة الخلق التى أوردها فى كتابه المروج^(٣) .

ومن الأمور التى سبق إليها المسعودى أنه فى بداية كتابه المروج كتب دراسة نقدية مقارنة لمصادره التاريخية ، وهذه الطريقة التى استنّها المسعودى مازال يتبعها المؤرخون المحدثون حينما يخصصون مقدمة دراستهم يتحدثون فيها عن مصادرهم وينقدونها ويقارنون بينها .

واعتمد المسعودى فى تأليفه على المشاهدة ، فقد كان مشاهدا عيانا لكل الأماكن والشعوب ، ولم يعتمد على الروايات السماعية التى اعتمد عليها من سبقه من المؤرخين ، بل عاب على المؤلفين الذى لم يعتمدوا على المشاهدة والمعاينة ، ومن بينهم الجاحظ ، وسانن بن قرة ، فيقول عن الجاحظ :

«وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذى هو نهر السند من نيل مصر ، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل ؟ ، وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الأمصار وعجائب البلدان ، وهو كتاب فى نهاية الغثاة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر من الأسفار ولا تقرى المسالك والأمصار ، وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين»^(٤) .

وبالرغم من ذلك فلم يسلم المسعودى من النقد فقد عاب عليه ابن خلدون ما ذكره عن قنسه الإسكندر ، وعاب عليه أيضا حديثه عن مدينة النحاس التى صادفها موسى بن نصير فى فتوحه لبلاد

(١) طبقات الشافعية : ٤٥٦/٣ . (٢) المسعودى : ٣٢ .

(٣) المروج : ٢٨/١ . (٤) المروج : ٩٩/١ .

المغرب ، وذلك فى قوله : «وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة»^(١) .

٦- المسعودى الجغرافى :

تحدث المسعودى عن رحلاته بطريقة موضوعية إقليمية ، فيقسم دراسته إلى موضوعات مستقلة يتحدث فى كل موضوع عن إقليم معين بعيداً عن الطريقة الزمنية ، ولا يهتم بتتابع أخبار رحلاته أو الربط بينها ، وقد أشاد ابن خلدون برحلات المسعودى بالرغم من أنه جاء بعده بأربعمئة سنة ، فقال فى مقدمته : «فأما ذكر الأحوال العامة للأفاق والأجيال والأعصار فهو أسُّ للمؤرخ تنبنى عليه أكثر مقاصده ، وتبين به أخباره ، وقد كان الناس يفرّدونه بالتأليف - كما فعل المسعودى - فى كتابه «مروج الذهب» شرح فيه أحوال الأمم والأفاق لعهد فى عصر الثلاثين والثلاثمئة غرباً وشرقاً وذكر نحلهم وعوائلهم ، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم ، فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه وأصلاً يعولون فى تحقيق الكثير من أخبارهم عليه»^(٢) .

ويمكن أن نعتبر المسعودى وقبله اليعقوبى هما أول من وضع أسس المدرسة العربية فى الدراسات الجغرافية^(٣) . وأهم ما يميز به المسعودى عن غيره من الرحّالة أنه تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة للعالم الإسلامى فى عصره كما تميز حديثه عنهم بالدقة والعمق ، كما كان يدعم دراسته الجغرافية بجوانب تاريخية واجتماعية ودينية ويربط بين الزمان والمكان ، كما اهتمّ بأثر البيئة الطبيعية فى صور وأخلاق البشر .

٧- مكانة المسعودى فى الدراسات الحديثة :

أشاد بالمسعودى كثير من الدارسين المحدثين ، فقد ذكره الزركلى فى الأعلام بقوله : «مؤرخ رحّالة ، من أهل بغداد ، قال عنه : فازيليف فى كتابه العرب والروم : إن المسعودى بما يقرأه المسلمون والأوربيون على السواء ويجدونه ممتعاً طلياً ، ولذا استحق لقب «هيرودوت العرب» وهو اللقب الذى أضافه عليه فون كيرمر فى كتابه الثقافة فى الشرق»^(٤) .

وقال عنه د. فؤاد سزكين : «يعد المسعودى من المؤلفين ذوى الثقافة المتنوعة الذين عاشوا فى القرون الأولى للهجرة ولم يهتم بالجغرافيا والتاريخ فحسب ، بل اهتم بعلم الكلام والأخلاق

(١) المقدمة ، تحقيق د. على عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربى ، ١٩٥٧م ، ج١/٢٢٤ .

(٢) المقدمة ، ت وافي ، ج١/٢٥٧ ، ٢٥٨ . (٣) المسعودى ، الخربوطلى ، ص ٣٧ .

(٤) الأعلام ، الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ج٤/٢٧٧ .

والسياسة وعلوم اللغة ، وكان معظم جهده في الجغرافيا والتاريخ ورغم أن الدقة والعمق لم تتوافر لديه فإننا ندين له بمجموعة من الأخبار القيّمة حول البلاد الإسلامية وبمعلومات مهمة من مصادر مفقودة لانجدها إلا عند المسعودي^(١) . وتحدث عنه الأستاذ أحمد أمين فقال : وأما المسعودي فكان ذا منحنى آخر يفاير منحنى الطبرى ولكل فضل ، فألف لنا المسعودي كتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، وضاعت له كتب كثيرة وهو ليس مؤرخا فقط بل هو مؤرخ وجغرافي معا ، ولم تكن أسفاره للترفة بل كانت لمعرفة الأقطار وأخبارها ، ويدل كتابه مروج الذهب على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والأدب والأخلاق والسياسة ، ويمتاز المسعودي في كتبه بالفتاة إلى الأمور الاجتماعية كبحثه في ديانات العرب وآرائه في الكيمياء والهواتف والقيان والزجر والسائح والبارح ومقارنته بين العرب والعجم ، وعند كل ملك يذكر طرفاً من أخباره الخاصة وسيرته الداخلية وملاحمه وتقاطيع وجهه مما لا نجد له نظيراً في الكتب الأخرى ، فهو مؤرخ مسلح بكثير من الوثائق التي تلزم المؤرخ^(٢) .

وقد اهتم المفكرون الغربيون بالمسعودي وإنتاجه العلمي ، فقاموا بترجمة كتبه إلى كثير من اللغات الأوربية ، وقال بعضهم عنه : إنه «بلسينوس المشرق» وقال البعض الآخر عنه : إنه «هيرودوت المشرق» وقال عنه كاترمير : إذا ما نظر الإنسان إلى كتبه بُهت من تنوع المواد التي كتب فيها ومن كثرة المسائل المهمة العويصة التي حلّها ، والحق أنه كان واسع الفضل في الزمن الذي نسيغ فيه لا لأنه قرأ جميع الكتب الخاصة بالعرب وتأمّل فيها فقط بل لإحاطة مباحثه الواسعة بتاريخ اليونان والرومان وجميع أمم المشرق حديثها وقديمها أيضاً^(٣) . وقال عنه هاملتون جب : والمسعودي الذي تُوفّي حوالي ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م من حقه أن يُعدّ من أعظم المؤرخين العرب ، ولكن ضاع مؤلفاته الأصلية المسهبة التي لم يصلنا منها إلا مختصرات يجعل من العسير علينا أن نكون فكرة دقيقة عن منهجه^(٤) . وقد تحدّث آدم متز عن جهود المسعودي فكان مما قال : «حملته حب الاستطلاع إلى بلاد بعيدة في أفريقيا وفي الصين ، وتحدّث في كتبه التاريخية عن كثير مما لقيه من التجارب والمشاهدات في أسفاره»^(٥) .

(١) تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية د. محمود حجازي ، فهمى أبو الفضل ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤ .

(٢) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ط النهضة المصرية ، ط الخامسة ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ت عادل زعيتر ، ط عيسى الحلبي ، ١٩٦٩ ، ص ٤٥٣ .

(٤) دراسات في حضارة الإسلام ، ت إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين ، ط ١٩٦٤ ، ص ١٥٥ .

(٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ج ٢/٤ .

٨- مؤلفات المسعودي :

وضع المسعودي عشرات الكتب التي حوت أخبار رحلاته وتجاربه ومشاهداته ، ولكن معظم مؤلفاته كان مألها إلى الضياع ، ومن هذه الكتب التي ألفتها :

١- كتاب «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ويُروى أن هذا الكتاب كان في ثلاثين مجلدا ، وأدخل المؤلف مادة هذا الكتاب في كتابه مروج الذهب والأوسط ، ولم تصل إلينا من كتابه «أخبار الزمان» إلا بعض المختصرات ، وأول مختصر له مجهول المؤلف ، وقد وُصف في عدد من المخطوطات بأنه المجلد الأول من أصل الكتاب ، ووصفه كارل بروكلمان مرة باعتباره مختصرا وأخرى باعتباره المجلد الأول»^(١) .

وهناك نسخة منه مُصوّرة بدار الكتب المصرية بدون ذكر المؤلف ، وفي لوكنو نسخة منه في المكتبة الخاصة بمحمد ناصر ، ونسخة في معهد المخطوطات بالقاهرة تحت رقم ٨٧٢ ، وقد قام الأستاذ عبد الله الصاوي بتحقيق الكتاب وطبعه في القاهرة سنة ١٩٣٨م ، ثم توالى طبعاته بهذا التحقيق .

٢- الكتاب الأوسط : وهو كتاب وسط بين كتاب أخبار الزمان ومروج الذهب ، وقد ضاع هذا الكتاب أيضاً ، ولكن في مكتبة أكسفورد نسخة يرى البعض أنها هي كتاب الأوسط ، ويرى الباحثون أن هناك جزءا منه في أياصوفيا^(٢) .

٣- كتاب التنبيه والإشراف : لخص المسعودي في هذا الكتاب آراءه في فلسفة التاريخ ووصف صورا من الكون ، وتحدث عن تطور آراء الفلاسفة ، والعلاقة بين كل من الحيوان والنبات والمعدن وغيره ، وطبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٤م ، كما طبع في القاهرة ونشره عبد الله الصاوي سنة ١٩٣٨م ، وقد عُنِيَ بنشره المستشرق دى غويه وعلّق عليه ، وذيلَه بملاحظات كثيرة .

٤- كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» . لاشك أن هذا الكتاب من أعظم كتب المسعودي خاصة ، ومن أبرز المصنفات العربية عامة^(٣) .

(١) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، ط الرابعة ، ١٩٧٨م ، ج ٥٦/٣ - ٦٠ .

(٢) تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٤٣ .

(٣) المسعودي ، الخربوطلي ، ص ٣٩ .

بدأ المسعودى كتابه بـ «باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب» وتناول فى هذا الباب الباحث له على تأليف هذا الكتاب ، والمؤلفين الذين سبقوه فى هذا المضمون وثناءه على الطبرى وقدامة بن جعفر ونقده لثابت بن قرة ، ونهيه عن التصرف فى هذا الكتاب وتخويله لمن فعل ذلك «فمن حرّف شيئاً من معناه ، أو أزال ركناً من مبناه أو طمس واضحة من معالنه ، أو لبس شاهدته من تراجمه ، أو غيرّه ، أو بدّله ، أو أشانه ، أو اختصره أو نسه إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، فوفاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ، ويحار له فكره ، وجعله الله مثله للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه»^(١) . وفى الباب الثانى ذكر ما اشتمل عليه كتابه من أبواب ، وفى الباب الثالث تناول بداية الخلق .

ويمكننا تقسيم هذا الكتاب من الناحية الموضوعية إلى قسمين :

(أ) القسم الأول : الخليفة وقصص الأنبياء ، والبحار والأرض وما فيها من العجائب وتواريخ الأمم القديمة من الفرس واليونان والرومان والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم والشهور والتقويم .

(ب) القسم الثانى : البعثة النبوية والدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ إلى الخليفة المطيع لله سنة ٣٤٥ هـ .

وقد نال كتاب المروج اهتمام المفكرين فى الشرق والغرب ، فقد ترجمه المستشرق باربيه دى مينار إلى اللغة الفرنسية ، وطُبع الكتاب فى باريس سنة ١٨٧٣م بمراجعة شارل بلا ، كما ترجم سبرنجر الكتاب أيضا إلى اللغة الإنجليزية ، وظهر الجزء الأول منه فى لندن سنة ١٨٤١م ، ويوجد مخطوط منه فى برلين تحت رقم ٩٤٢٧ ، ونسخة فى دار الكتب بالقاهرة تحت رقم (٢) ٣٤٢/٥ - ٣٤٣ ، وطُبع الكتاب فى مجلدين سنة ١٩٦٢م و ١٩٦٥م ، ثم طبع فى بولاق سنة ١٢٨٣هـ ، والقاهرة ١٣٠٣ هـ ، وقد نشره وحققه الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد فى القاهرة سنة ١٩٦٤م ، فى مجلدين ، ثم طبع فى بيروت فى أربعة مجلدات بتحقيق الشيخ محمد محى الدين أيضا فى سنة ١٩٦٦م^(٢) ، وقد قام الدكتور مفيد قميحة بتحقيقه وطبعه فى لبنان سنة ١٩٨٠م .

٥- كتاب «إثبات الوصية للإمام على بن أبى طالب» وطُبع هذا الكتاب فى النجف بإيران سنة ١٩٥٥م .

(١) المروج : ١٨/١ .

(٢) تاريخ التراث العربى ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤ .

وهناك كتب أخرى للمؤلف مفقودة ، وهي :

- ١- فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف . ٢- ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور .
- ٣- نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر . ٤- الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار . ٥-
- نظم الأعلام في أصول الأحكام . ٦- نظم الأدلة في أصول الملة . ٧- المسائل والعلل في المذاهب والملل . ٨- خزائن الدين وسر العالمين . ٩- المقالات في أصول الديانات . ١٠- سر الحياة . ١١-
- وصل المجالس . ١٢- الأخبار المسعوديات . ١٣- رسالة البيان في أسماء الأئمة . ١٤- الإبانة في أصول الديانة . ١٥- تقلب الدول وتغيير الآراء والملل . ١٦- الصفوة في الإمامة . ١٧- مقاتل فرسان العجم . ١٨- الاستبصار في الإمامة . ١٩- المبادئ والتراكيب . ٢٠- الرؤوس السبعة . ٢١- الزاهي . ٢٢- الدعوى . ٢٣- الاسترجاع . ٢٤- مزاهر الأخبار وظرائف الآثار .
- ٢٥- الرؤيا والكمال . ٢٦- طب النفوس . ٢٧- حدائق الأذهان في أخبار الرسول . ٢٨- الزلف . ٢٩- القضايا والتجارب . ٣٠- الواجب في الفروض اللوازم . ٣١- الانتصار المفرد لفرق الخوارج ^(١) .

ثانياً : مفهوم الحضارة

١- مصطلح الحضارة :

عندما نطرح سؤال : ما مفهوم الحضارة ؟ سوف نجد تعدداً وتبايناً في الإجابات ، ولما كانت الحضارة خاصة بالإنسان وملازمة له ، ولأن الإنسان يتغير ويتطور بحسب الحقب الزمانية والمراحل التاريخية التي يمر بها بحيث لا يمكن القول بأن الإنسان هو هو في كل العصور ، لذا فإن الإجابة عن سؤال : ما مفهوم الحضارة ؟ تختلف باختلاف الزمان والمكان الذي يُطرح فيه هذا السؤال .

وإذا أردنا أن نخلص إلى إجابة مقنعة ومواكبة للعصر الحالي فإنه يلزمنا أن نعرف معنى الحضارة في اللغة أولاً ، ثم نعرف مفهومها في الاصطلاح بعد ذلك .

(١) المسعودي ، الخربوطلي ، ص ٤٢ ، ٤٣ ، أيضاً تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول ، الفصل الرابع ، ص ٥٣٤